وكان مما حدث أن استقر المقام بإحدى هذه القبائل فى بقعة من بسيط الأرض بها ماء وخضرة ، فركن إليها القوم يصيبون فيها خفض العيش ونعيم الحياة .

وعشية أقبل كبير القبيلة فى لمة من جنده وأصفيائه يتفاوضون فى أمر الرعية ، ويتدبرون من شئونها ما يفتقر إلى تدبير ، وأهل الخيام من حولهم هجوع .

وفيما هم سائرون أبصروا عن كثب منهم شبحين فى شجار ، فأمسك كبير القبيلة عن السير يستطلع الأمر ، وفى أعقابه شخص الجمع يتبينون خبيئة ما يدور فى جنح الليل من ضغائن وأحقاد .

وسرعان ما أبصروا ظهر امرأة تتراجع من فرجة الخيمة بجنحة الذراعين متشعثة الشعر يعلو صوتها الأبح فى ثورة عاتية ، وهى تسوق القول فى خيلاء وجبروت :

قاتلك الله من مبذر متلاف . . . بالأمس تصدقت بما لدينا من زاد ومؤنة على طارىء ملحاح أشـــد منك قوة وأقدر على كسب . . . واليوم أنفقت عن سعة ما ادخرت من لبن وزبد على امرأة لعوب . . . أمرضاة ربك ابتغيت فيما قدمت أم مست المرأة بألاعيبها من قلبك الشغاف ؟ ... لقد طمحت عيناك إلى ما وراء بيتك وأهلك لا محالة . . . سأبلغ كبيرنا أمرك ليتخذ فى شأنك